مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

الدلالات التربوية دراسة في الأسلوب القرآني

م. د. عدي فاضل عباس
جامعة البصرة/ كلية الإدارة والاقتصاد/ قسم العلوم المالية والمصرفية

معلومات الورقة البحثية

تاريخ الاستلام 2025 /5/11
تاريخ القبول 2025 /5/19
تاريخ النشر 2025/7/24

الكلمات الرئيسية:

التربية الحديثة، التنمية المستدامة، القرآن الكريم، طرائق التربية الحديثة، مبادئ التربية.

المستخلص باللغة العربية:

يهدف البحث إلى الكشف عن الدلالات التربوية التي تضمنها القرآن الكريم عبر دراسة وصفية تحليلية لنصوص مختارة تسلط الضوء على جماليات أسلوب النّص القرآني وعمق توجيهاته التربوية، وتُظهر جمال الوظيفة التربوية في الخطاب القرآني، ويستند البحث إلى فرضية مفادها أن الأسلوب القرآني لا يقتصر على الإعجاز البياني فحسب، بل يحمل في طياته مقاصد تربوية عميقة تتجلى في اختيار الألفاظ، وترتيب الجمل، وتوظيف القيم التربوية العميقة، والحوار الذي يهدف إلى بناء فكر الإنسان وتهذيب سلوكه. وقد قام البحث على استقراء الآيات ذات البعد التربوي الذي يجمع بين الدراسة اللغوية والفهم التربوي مستندًا إلى نصوص مختارة من الآيات القرآنية التي تتناول قضايا تربوية مثل: العقيدة، والأخلاق، والتزكية، والعلاقات الاجتماعية، والقدوة، والتوجيه السلوكي.

doi: xx.xxxx

1. المقدمة

يرتبط مفهوما التربية الحديثة والتنمية بعلاقة تعكس مدى حاجة المجتمعات لتطوير أفرادها بطريقة تتماشى مع ما يتطلبه العصر، وتحافظ على الموارد والبيئة للأجيال المقبلة في الوقت نفسه، فالتنمية في مجال التعليم تساعد الملاكات المؤثرة والفاعلة في مؤسسات التربية والتعليم، وترفد بقية مفاصل الحياة ومؤسساتها باليد العاملة القادرة على تلبية حاجة المجتمع ومتطلباتها؛ لذلك يصبح لزامًا على الفرد تحقيق المستوى الذي تتطلبه التربية( )، بينما تركز التربية الحديثة على تنمية المهارات والقدرات التي يكون الفرد بحاجة لها؛ ليكون فاعلًا ومنتجًا، وتهدف التنمية المستدامة إلى تحقيق توازنٍ بين النمو الاقتصادي، والحفاظ على البيئة، وعلى العدالة الاجتماعيّة.

كثرت الدراسات التي تصب في التربية ومبادئها وطرائقها ومزاياها، وللقرآن الكريم نظرة شاملة تتسع إلى احتواء الآفاق التربويّة التي تركز على الجوانب الروحية، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة، وتتجلى في جوانب عدة، منها: القرآن الكريم يركز على ضرورة الإيمان بالله كعنصر أساس لتربية النفس، والتربية في القرآن تشمل العناية بالروابط الاجتماعيّة أيضًا، والإحسان إلى الآخرين، والمحافظة على حقوق الناس، والتربية في القرآن الكريم هي نهج شامل يهدف إلى بناء شخصية الإنسان المتكاملة والمتوازنة، وهذه المفاهيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة التربويّة كثيرٌ ما يركز القرآن الكريم عليها، لذلك جاء هذ البحث ليسلط الضوء على التربية ومفاهيمها الحديثة مع الأخذ بنظر الاعتبار التنمية المستدامة في إنضاج مفاهيم التربية الحديثة التي تتساوق مع القرآن الكريم بدراسة وصفية تحليلية تقف على بعض التطبيقات التربويّة في آياتِه.

المبحث الأول: التربية الحديثة والتنمية المستدامة

تؤكد التربية الحديثة بوصفها نهجًا تعليميًا على تطوير مهارات التفكير النقدي، وحل المشكلات والإبداع، والعمل الجماعي، وتعزيز القدرة على التكيف مع التغيّرات السريعة في الحياة التي تعتمد على طرق تعليميّة تفاعلية وموجهة نحو الطالب، إذ تشجع الطلاب على التعلم النشط، والاكتشاف، والاستقلالية، وتمنحهم فرصة المشاركة

في صنع القرارات التعليميّة، وإن فائدتها المتوخاة تعود بالدرجة الأساس على الفرد والنواة في المجتمع وهي الأسرة بتشكيلها وانسجامها بالشكل الذي يتناغم مع الفطرة وهي فائدة مهمة جدًا[1]، على خلاف من يسعى إلى تهديم الأسرة في المجتمع بضرب القيم الإنسانيّة والفطرة البشرية عبر الظلم والسعي إلى الفساد، قال تعالى:{**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**}[البقرة:205]، وتركز التربية الحديثة على الجانب المهم في الأسرة وهو ديمومتها بالطريقة التي تنسجم مع الفطرة وتنضيج التعامل الذي يبتعد عن الظلم والتعدي على الآخر؛ مما ينتج لنا أسرة ناجحة وأولاد أبرار فاعلين في المجتمع عبر خلق بيئة سليمة خالية من المشكلات والصراعات التي قد تنشأ من تطبيق المفاهيم التربويّة المغلوطة.

التنمية المستدامة في ضوء التربية:

تهدف التنمية المستدامة في التربية إلى تحقيق التوازن المتكامل بين الأبعاد البيئية المحيطة بالفرد والجماعة، وإثراء الحياة الاقتصادية من جانب، والاجتماعية من جانب آخر، فضلًا عن تغذية الذات بالمفاهيم الإنسانيّة والقيم البشرية، لذلك تلتقي مع المفهوم اللغوي في النماء والكثرة والزيادة، وتبعد بيئة التعلم عن المشكلات التي تتسبب في الفشل الدراسي[2]، فهي تسعى إلى تطوير الفرد والمجتمع وتحقيق أقصى غاية في النماء؛ إذ يتم تلبية احتياجات الأجيال الحالية بواسطتها من دون أن يُلحق ذلك ضررًا بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها، ووُضِعَت التنمية المستدامة كهدف عالمي ضمن أهداف التنمية المستدامة التي وضعتها الأمم المتحدة عام 2015م، وتشتمل على مجالات عدة مثل القضاء على الفقر، وكذلك المساواة في التعليم، فيتعلم الإنسان بصورة عامة كثيرًا من أنماط السلوكيات عن طريق المشاهدة والتلقين وتسجيلها في عقله على شكل أحداث حسية أو استجابات رمزية[3]، ولذلك نجد القرآن الكريم كثيرًا ما يربط حاجات المجتمعات وطريقة تنميتها عبر ضرب الأمثال وبث روح التفكر والتدبر في سنن التأريخ الماضية، قال تعالى:{**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**}[الجمعة:3-4]، توضح لنا هذه الآية الكريمة المعنى العظيم في مجال التنمية عبر التأسيس لما يسمى بالتنمية المستدامة، وضرورة وجود نظرة مستقبلية للامتداد الحضاري والعمل الدؤوب المتواصل والسعي لتحقيق ذلك، فلم يعرف العالم مصطلح التنمية المستدامة إلّا حديثًا بعد أن تلاقحت الثقافات والتقت من أجل تقديم ما يمكن أن يحسن من الواقع المزري والخطر المحدق بالفرد على اختلاف نشأته، أما الإسلام فقد أشار إلى ذلك عن طريق الآيات القرآنية، وهو ما نؤكد عليه من أن القرآن الكريم كتاب معجز للبشرية، ونؤكد تحدي الإسلام لقمة العلم، ولأقصى درجات الحضارة تطورًا ورقيًا[4].

الحداثة والجذور في التربية:

التربية الحديثة هي منطلقات تعمل عليها من أجل إعداد الأفراد وتوعيتهم بأهميّة التنمية المستدامة عن طريق التربية على الوعي البيئي، وسلامة التفكير والإسهام في طرائق التربية الحديثة في بيئة التعلم عند الطلبة، فتشجعهم على حماية البيئة والمحافظة على الموارد، ولا يتم ذلك إلّا عن طريق إدماج مبادئ الاستدامة في المناهج الدراسية[5]، مثل أهمية التقليل من استهلاك الطاقة، والتشجيع على إعادة التدوير، والمحافظة على موارد البيئة الطبيعية، فضلًا عن الجانب السلوكي والأخلاقي عند المتعلم؛ ليكون هو الوريث في الأرض ومن يستحق أن تكال النعم من أجله، قال تعالى:{**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**}[هود:61]، وقوله تعالى:{**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ**}[فاطر:39]، وقوله تعالى:{**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**}[فاطر:44]، من هنا تتضح أهمية التربية المستدامة في السبب الذي من أجله وجد الإنسان وأنه الفاعل الأساس في الحفاظ على ديمومة الحياة بطريقة منتظمة تكفل حق الآخرين، فيكون الفرد فيها جزءا من الاستخلاف والمسؤولية الكبرى في الحياة.

ينبغي التركيز على الوعي بأهمية الحياة وكيفية الحفاظ على البيئة السليمة في نشأة الأفراد على اختلاف مراحل التعلم من أجل إنضاج التنمية المستدامة لدى الطلبة، وأن تكون هنالك طرائق منسجمة مع كل مرحلة عمرية يمر بها الفرد، بدأ من الطفولة وانتهاء بالشيخوخة، مما يُشجعهم على اتخاذ قرارات صحيحة في حياتهم المستقبلية، لذا نلحظ القرآن الكريم يشجع على البيئة الصالحة مقابل ذكر الذين يبتعدون عن جادة الصواب فيجري مقارنة بينهم في قوله تعالى:{**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ**}[المعارج:19-27]، ذكر القرآن الكريم أوصافًا دقيقة لأولئك القادرين على التعاطي الإيجابي مع الأحوال الإنسانيّة تربويًا من أجل ديمومة الحياة وذكر أنّهم الذين ينتهجون نهجًا تعليميًا في العمل الصالح عند مقارنتهم بنماذج تمثل النقيض منهم.

مع ما تمتلكه التربية الحديثة من مقومات إلّا أنها تُشجع على وضع الحلول الإبداعية للتحديات المستدامة وتطويرها، مما يحفز الطلاب وبيئة التعلم على البحث بطرائق جديدة للحفاظ على الموارد وحل مشاكل التلوث، وتطوير تقنيات صديقة للبيئة، من أجل بيئة نظيفة وعقل سليم يستطيع مواكبة الأعمال الإبداعية، فنجد تأكيد القرآن

الكريم على أهمية ترشيد الاستهلاك وحماية البيئة، واستعمال الموارد المتاحة كافة بطريقة مستدامة من ذلك قوله تعالى:{**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}[الإنعام:141]، وقوله تعالى:{**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**}[الأعراف:31]، تربية الأفراد على التصرف الصحيح وتقنين المدخلات والمصروفات حتى على مستوى الطعام تولد جانبًا تربويًا مهمًا في طريقة التعامل في سلوك الفرد، إذ ينتج عن ذلك جيل قادر على مواجهة تحديات الاستدامة بطرق إبداعية وفعّالة، مما يعزز التنمية المستدامة على المدى الطويل.

حقوق الأفراد:

تتمثل حقوق الأفراد على اختلاف أجناسهم في كل مجتمع إحدى الركائز التربويّة الحديثة في غرس قيم العدالة الاجتماعيّة والمساواة بين الأفراد جميعهم(6)، مما يساعد على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وهي: السلام، والعدل، والمؤسسات القوية، فمن حق كل فرد أن يحتكم إلى شريعة الله تعالى في الإسلام، ويجعل منه قانونًا ينظم حياته وتعاملاته التربويّة وغيرها؛ إذ إن في بعض التنازعات والأحكام ما يمكن أن يخلق تعديًا على حقوق الأفراد فلا يمكن تطبيق حكم يكون أقرب ما يكون إلى الانسجام الواقعي للفرد من غير القرآن الكريم لذلك أراد تعالى فك هذه الجدلية في الرجوع إليه في قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**}[النساء:59]، وقوله تعالى:{**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**}[المائدة:48]، نلحظ أن القرآن الكريم يُسهم بصورة مباشرة في تحديد بوصلة الاحتكام من أجل أن لا تحتدم رغبات الأفراد ويطرح قضية تربية الاحتكام إلى ضابطة، مع عدم الإكراه في الدين والمعتقد، وهذا المنهج في التعليم يساعد على بناء مجتمعات أكثر عدلًا وتسامحًا؛ إذ يكون الأفراد واعين بحقوقهم وحقوق الآخرين، مما يعزز الاستقرار الاجتماعي في بيئة التعلم، ويرشد إلى فتح قنوات الحوار وتقبل الآخر.

تطوير قدرات المُتعلم:

تكمن أهم مراحل التربية الحديثة في التركيز على قدرات المتعلم وتطويرها بوساطة بناء الشخصية(7)، وتتجه التربية الحديثة نحو مفهوم التعلم مدى الحياة، إذ لا يقتصر على فئة أو زمن على اختلاف المكان، ومنه قوله تعالى:{**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**}[المجادلة:11]، والحث على طلب العلم بشكل مستمر ودائم قال تعالى:{**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**}[طه:114]، لهذا عند تعزيز الرغبة في التعلم وتفضيل أصحاب العلم وتقديمهم ينمو في ذات الفرد حب التعلم وتطوير قدراته، فضلًا عن تطوير مهارات الطلاب وبيئة التعلم بما يتماشى مع ما يتطلبه سوق العمل الذي يتسم بالتغير في كل مكان وزمان، مما يسهم في تقليل الفقر وتحقيق النمو الاقتصادي المستدام الذي يعود على الناس بالرفاه والتقدم الحضاري والعمراني بالنتيجة يطال التغيير الحياة بأكملها، ويُصبح الأفراد جميعهم قادرين على أن يتكيفوا مع التغيرات التي تطرأ على الحياة، ويُعزز من فرص العمل بما يتفق مع روح العصر، ويسهم في بناء اقتصاد قوي ومستدام أساسه تعلم صحيح وتربيّة ناجحة، وهذا الأمر بالنتيجة يعود على الله تعالى إذ يقول:{**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}[النحل:78]، وتطوير قدرات الفرد ينبغي أن تخضع لرتابة التفكير المنطقي في ضوء المدركات والبحث المنتظم(8)، ولا ينبغي أن يخوض الفرد في غير اختصاصه أو اهتماماته التي يتقنها إلّا أن يسلك طريقًا قال تعالى:{**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**}[الإسراء:36].

أهمية الإنتاج المستدام في التعلم:

يقوم الأفراد في العملية التربويّة بنشاطاتٍ متعددة، وهذه النشاطات لها اتجاهات منها ما يعود بالمنفعة على المتعلم(9)، لذلك ظهرت لدينا مؤسسات تربويّة إنتاجية تعمل على سد الحاجة الاستهلاكية في المجتمع، ولما كان المتعلمون جزءًا من منظومة اجتماعية تهدف إلى تطوير المجتمع بطريقة إنتاجية، ظهرت لدينا الحاجة إلى التوعية بأهمية الإنتاج وتقنين الاستهلاك بطريقة مستدامة من ذلك قوله تعالى:{**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ**}[يوسف:47]، والحث على النظر والتدبر في نظام الله تعالى وتدبيره إذ يقول:{**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**}[عبس:24-32]، فالتوعية بأهمية الإنتاج والاستهلاك وتسليط الضوء على المصدر الأساس وهو قدرة الخالق التي وهبت الإنسان هذه الألطاف، ومن هنا تأتي التربية الحديثة للعمل على التوعية بأهمية الرجوع إلى مصدر القدرة، وهو الذي يمكن أن يكون سببًا في النماء والخير عبر الإنتاج المستدام للطلبة(10)، وتكون وظيفة التربية الحديثة في إدخال المفاهيم التعليميّة عند المتعلمين مثل الاستهلاك والترشيد فيه، وتقليل النفقات، ودعم

المنتجات الصديقة للبيئة، وكيفية التخلص من النفايات بطريقة علمية يكون المتعلم جزءًا في طريقة التفكير الناجح، وهنا يكون للطلبة أثرٌ في التعلم، وكيف يكونون مستهلكين واعين، مما يساعد في تقليل التلوث والنفايات، وتعزيز ثقافة الاستدامة في المجتمع.

تساعد التربية والتعليم بشكل كبير في التنمية المستدامة عبر مبادرات صفية ولا صفية يكون الباعث لهذه المبادرات التربية منذ الطفولة في تشجيع الأفراد على حل مشكلاتهم[11]، وأنشطة عملية تتمثل في مشاريع إعادة التدوير في المدارس وتنظيمها؛ لزيادة الوعي التربوي حول أهميّة إعادة استعمال الموارد، وعلى مستوى الحديقة المدرسية يمكن إنشاء حدائق صغيرة في المدارس لزراعة النباتات، وتعلم أهميّة الزراعة والمحافظة على التنوع البايولوجي في كل بيئة مدرسية، وإطلاق حملات توعية تتعلق بالحد من التلوث البيئي، وتشجيع الممارسات المستدامة في أماكن التعلم على اختلافها مثل ترشيد استهلاك المياه والطاقة وغيرها.

يؤدي الفرد دورًا حيويًا في تحقيق التنمية المستدامة إذا ما جعل القرآن الكريم له طريقًا ومسلكًا في تحقيق أهدافه التربويّة، عبر غرسه للوعي البيئي والاجتماعي الذي ينطلق من روح الإسلام والقرآن الكريم، ويمكننا أن نشجع الابتكار، وإنضاج روح المسؤولية الشخصية لدى الأفراد بوساطة تعزيز المهارات والقيم الأساسية التي خطها القرآن الكريم في كثير من آياته، لتكون الأجيال القادمة أكثر قدرة على مواجهة تحديات التربية الحديثة في مستوياتها المتعدّدة، بما يضمن بناء مجتمعات قويّة ومستدامة وتحقيق مستقبل أفضل للجميع.

المبحث الثاني: القرآن الكريم ومبادئ التربية:

لم يعد في وسع الشعوب على اختلاف مستوياتها أن تحيا في عالمنا الذي يتغير بسرعة ويشهد تطورًا ملحوظًا من دون الاعتماد على سلاح التخصص والإدارة السليمة الخاضعة لمتطلبات الحداثة والعولمة، ويذهب المختصون في العلوم التربويّة والنفسيّة إلى أن القضية الأولى تكمن في وجود الإنسان المعاصر الذي ينساق مع التنمية الثابتة والشاملة، والتحرر من عوامل الجهل والفقر على مستوى التربية والتعليم، فضلًا عن مفاصل الحياة جميعها، والتفكير السليم يكون عبر العلاقات البشرية وتنظيمها[12]، ويزخر القرآن الكريم بالمبادئ والقيم التي تشكل أساسًا قويًا للتربية السليمة والمتوازنة، ويُعدّ القرآن الكريم كتابًا هاديًا يوجه الإنسان في جوانب حياته كلها، بما في ذلك التربية، سواء كانت تربية فردية أو اجتماعية، فالقرآن الكريم يهتم ببناء الشخصية ويوجهها نحو الصلاح، ويغرس فيها القيم التي تؤدي إلى تحقيق السعادة الدنيويّة والأخرويّة.

أولًا: التربية الإيمانية:

الإيمان بالله يعد من أهم المرتكزات الرئيسة التي تنشأ عليها الفطرة الإنسانيّة، إذ إن البعد الديني هو الباعث الإيماني في تحركات الفرد وسلوكياته، فالبعد الروحي يفوق كل عالم الماديات؛ لأن في كل فرد منطلقات ينبع منها مجموعة من الاستفهامات؛ أولها سبب الوجود والخالق وما هو ومن أين؟ لذلك يذهب أهل النظر إلى أهمية التربية وطريقة إدارتها[13]، والإيمان بالله من الأركان الأساسية في التربية القرآنيّة؛ إذ يبني الإنسان على أساس التقوى والتوكل على الله، ويحث القرآن الكريم على الإيمان العميق بالله واتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه، مع ذم التفرق والتشتت إلى جماعات وطوائف قال تعالى:**{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}**[المؤمنون:53]، بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم[14]، في حين امتدح التماسك والترابط بين المؤمنين في قوله تعالى:**{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}**[آل عمران:103]، والقرآن الكريم يعلّم الإنسان أن يعتمد على الله في أموره كلها، وأن يكون واثقًا في قدراته، مع الإدراك أن الله هو المهيمن على كل شيء، ولقد كان المسلمون يجدون في المفاهيم التربويّة أنموذجًا في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ إذ يمثّل العقيدة الأنموذج الحي للعقيدة الإسلاميّة والرسالة الإلهية، فهو أوّل العاملين وقدوة المطبقين للشريعة الإسلاميّة وأهدافها التربويّة[15]، فكان النموذج الإنساني الأعلى والرسالة الحية الناطقة بالفضائل؛ لذلك كانت سُنَّته في أقواله وأفعاله وتقريراته تشريعًا وقانونًا، فوصفه تعالى في قوله:**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[القلم:4]، ومن هنا تتجلى مفاهيم التربية الحديثة عبر خلق القدوة الصالحة وتنضيج المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم؛ لتكون عاملًا ساندًا للتربية في بيئات التعلم الناجح وإثراء النظريات التربويّة في عملية التعلم وديمومة الزخم الإثرائي فيها.

ثانيًا: التربية الأخلاقيّة:

تعتمد النظريات التربويّة في التعلم على الأخلاق كركيزة أساسية من أجل خلق بيئة تربوية صالحة تتمثل الأخلاق الممتزجة مع التعلم الهادف في المراحل العمرية المتعدّدة سواء أكان على مستوى الطفولة أم مراحل العمر المختلفة[16]، والتربية الأخلاقيّة تمثل علم الأخلاق فهو "علم أحوال القلب، أما ما يحمد منها هو الصبر والشّكر والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزّهد والتقوى والقناعة والسخاء والعفو والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة وأداء الأمانة والصّدق والاخلاص ومعرفة المنّة لله في الأحوال جميعها، فمعرفة حقائق هذه الأحوال

وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب، وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتّى يقوى من علم الآخرة"[17]، لذلك ينبغي التأكيد على المفاهيم الأخلاقيّة في التنمية الهادفة في التعلم، منها:

الأمانة والصدق: يشدد القرآن الكريم على قيم الأمانة والصدق، ويوّجه المسلمين إلى التعامل بالعدل والنزاهة في كل المواقف، إذ يقول الله تعالى عن الأمانة وعظم خطرها في قوله:{**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**}[الأحزاب:72]، وقوله تعالى:{**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**}[النساء:58].

التسامح والعفو: يدعو القرآن الكريم إلى التسامح والعفو، وهو أمر يعزز التعايش والسلام بين الناس، إذ يقول تعالى:{**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**}[النور:22]، وإن صفة العفو تقترن بالتقوى ومن كان أقوى في العفو يمكن أن يكون أقوى في التقوى، ومن كان كذلك كان أفضل، مثلما في قوله تعالى:{**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[الحجرات:13]، والعفو والتقوى متلازمان فلهذا السبب اجتمعا فيه[18]، فحري بنا أن نوجه إلى هذه الصفة العظيمة المتمثلة في الخلق والتربية كي تسهم برقي سلوك المتعلمين التربوي.

التواضع والاحترام: يوجه القرآن إلى قيمة التواضع والابتعاد عن التكبر، ويعلم احترام الآخرين مهما تكون مكانتهم الاجتماعيّة، قال تعالى:{**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**}[لقمان:18-19]، ومعناه لا تعرض بوجهك تكبرًا عن الناس، وأصل الصعر داء يصيب الإبل في أعناقها، أو رؤوسها حتى يلفت أعناقها فتشبه من تكبر على الناس، وقال عمر بن جني الثعلبي واضافه المبرد إلى الفرزدق :

"وكنا إذا الجبار صعر خده * أقمنا له من مثله فتقوما"

يجوز أن يكون تصعر وتصاعر بمعنى، كقولهم ضعف وضاعف، قال أبو الحسن (لا تصاعر) لغة أهل الحجاز و (لا تصعر) لغة بني تميم، والمعنى هو ولا تتكبر، ولا تعرض عنهم تكبرًا، مشي المختال المتكبر لا يحبه الله وهو صفة تتعارض مع التواضع وإظهار الاحترام، فالاختيال مشية البطر، والمختال المتكبر، والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع، ثم قال له (واقصد في مشيك) أي: أجعل مشيك مشي قصد، أي: لا تمشي مشي مختال ولا متكبر، واغضض من صوتك أي: لا ترفع صوتك بالتطاول؛ لأنّه مذموم[19]، وقوله تعالى:{**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**}[الفرقان:63-65]، وقوله تعالى:{**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**}[المائدة:54].

ثالثًا: التربية الاجتماعيّة:

صلة الرحم من الموضوعات التربويّة التي تنمي الجانب الاجتماعي، وتقوي الأواصر الأسريّة بين المجتمعات[20]، ويهتم القرآن الكريم بتربية الأفراد على التواصل مع الأقارب والإحسان إليهم، وقد جاء في قوله تعالى: {**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**}[الإسراء:26]، وقوله تعالى:{**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**}[الرعد:21]، وقوله تعالى:{**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**}[محمد:22]، ونقيض صلة الرحم يوجب اللعنة وسوء العاقبة في قوله تعالى:{**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**}[الرعد:25].

من مظاهر التربية الاجتماعيّة بر الوالدين ويُعد من أسمى القيم التي يرفع شأنها القرآن الكريم، إذ طالما حث على بر الوالدين والاعتناء بهما، قال تعالى:{**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**}[الإسراء:23]، فبرَّ الوالدين من عظيم الصفات التي توجب رحمة الله ومغفرته ولها آثار جليلة في الدنيا والآخرة وحثَّ عليه الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين في أحاديثهم ووصاياهم[21]، وقوله تعالى:{**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}[العنكبوت:8]، وقوله تعالى: {**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**}**[لقمان:14-15]، وقوله تعالى:**{**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**}[الأحقاف:15]، وغيرها من آيات القرآن الكريم التي تحثَّ على بر الوالدين والرحمة بهما كجزء من الوصايا الإلهية.

التعاون بين الناس والإيثار في خدمتهم، من أجل ابتغاء الأجر من الله سبحانه وتعالى فقد حث القرآن الكريم على التعاون على البر والتقوى والنهى عن التعاون على الإثم والعدوان، مما يسهم في بناء المجتمع المتماسك والمترابط، قال تعالى:{**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}[المائدة:2]، أي: دعا إلى العفو والإغضاء ومجانبة الهوى[22]، وقوله تعالى:{**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ**

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الحشر:9]، فالتعاون والإيثار من الأعمال الصالحة الرضا الداخلي عند الفرد وهي من أبرز معالم التربية.

رابعًا: التربية الفكرية والعلمية:

يُعد التفكر والتدبر من السمات البارزة في التربية الحديثة والتي أكد عليها علماء التربية في طرائق التدريس، وحث القرآن الكريم على التفكر في آيات الله وعظيم خلقه وجميل صنعه وتدبيره، كما في قوله تعالى:{**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**}[آل عمران:190]، وقوله تعالى:{**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**}[**البقرة:219**]، **وقوله تعالى:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**}[الإنعام:50]، وقوله تعالى:{**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**}[ص:29].

آيات طلب العلم حافل بها القرآن الكريم ويؤكد على العلم وتعلمه، ويُعد القرآن الكريم العلم أساسًا في تربية الأفراد، ويشجع على طلبه(23)، إذ إن أول ما نزل من الوحي هو (إقرأ)، وهذا يدل على أهمية المعرفة وطلب العلم لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ، ومنه قوله تعالى:{**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**}[طه:114]، وقوله تعالى:{**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**}[الزمر:9].

خامسًا: التربية النفسيّة:

تربيّة النفس ضبطها والصبر على البلاء جزء من عملية ترويض النفس في مراحل التعلم وهو من لأمور التي تركز عليها التربية الحديثة، فالقرآن الكريم يربي النفس على الصبر وضبط الانفعالات، إذ يقول الله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**}[آل عمران:200]، وقوله تعالى:{**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**}[الرعد:28]، وقوله تعالى:{**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**}[فاطر:34].

التوكل من سمات ضبط النفس والثقة بالله ويوجه القرآن الكريم إلى أهمية التوكل على الله تعالى، مما يمنح الفرد قوة نفسية وثقة في قدراته، متوازنًا مع الاتكال على الله ومنه قوله تعالى:{**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**}[المائدة:23]، وقوله تعالى:{**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**}[التوبة:51]، وقوله تعالى:{**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**}[يوسف:67]، وغيرها من الآيات التي زخرت بها سور القرآن الكريم.

نخلص إلى أن التربية القرآنية شاملة وتغطي جميع الجوانب للحياة الإنسانية، وتتعلق بتفاصيل كل مرحلة من مراحل التعلم وطرائق التعامل في سلوكيات الأفراد، فهي تربي الروح والقلب والعقل والجسد، وتغرس في الفرد القيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة والدينيّة، وإن اتباع أسس التربية القرآنيّة يؤدي إلى بناء شخصية متوازنة وقادرة على المواجهة لتحديات الحياة، والعيش بسعادة وسلام، والإسهام في بناء مجتمع قوي في منظومته الأخلاقيّة والإنسانيّة.

المبحث الثالث: دروس من قصة إبراهيم (عليه السلام):

يعدُّ النبي إبراهيم "عليه السلام" عند المسلمين وغيرهم نبيًا وأبًا للرسالات ورمزًا مثاليًا في التوحيد، ففي التقاليد الإسلاميّة، يُنظر له على أنه رائد الإسلام الأول، وهو واحد من أولي العزم من الرسل، وإن الهدف من رسالته طوال حياته كان إعلان وحدانية الله تعالى، وقد أشير له بصفة الخليل، وقد وصل إلى التوحيد عبر استنباط الحجج من أحوال هذه الموجودات جميعًا، والتفكر في عظيم خلق الله تعالى، وإن أفول الأجرام السماوية وزوالها المنتظم دل على وجود خالق لها، ووصل إبراهيم (عليه السلام) بقومه ومن تبعه إلى النتيجة الحتمية(24)، وهي البراءة من الشرك وعبادة الله سبحانه الواحد في خلق السماوات والأرض، فقال:{**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}[الأنعام:76]، كان إبراهيم (عليه السلام) حنيفًا موحدًا مسلمًا، وأوصى بنيه بذلك من بعده وساروا على نصيحة أباهم، وكذلك من بنيه يعقوب (عليه السلام) وأولاده، فقد كانوا جميعًا مسلمين على ملة أبيهم، وليس كما ادّعى اليهود والنصارى فيما بعد، أنهم كانوا يهودًا أو نصارى، لقد كذب اليهود عندما قالوا للناس كونوا يهودًا تهتدوا، وكذب النصارى عندما قالوا للناس كونوا نصارى تهتدوا، قال تعالى:{**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**}[البقرة:135-136].

كشفت قصة إبراهيم (عليه السّلام) عن الملامح القدوة للشخصية السويّة التي ينبغي أن تكون المثل الأعلى في التزام بالنهج القويم والشرع الإلهي، إذ كان يرى الشر قبل أن يراه الناس، ويحسب للأمور حسابها ويضعها في ميزانها، وهذا من باب فراسة المؤمن وقدرته على فهم مجريات الأمور، وفهمه للواقع وفق السنن والقوانين التي

علمه الله إياها من الأمم السالفة فكانت مثالا يضربه الله للناس، فقد وصل منتهى العلم الإنساني في علوم العقائد والتوحيد وأسماء الله وصفاته وأفعاله وقضائه، قال تعالى:{**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}[البقرة:124].

نقف هنا عند أبرز الدروس التربويّة التي يمكن أن تستلهم من حوار إبراهيم (عليه السلام) مع آزر عمه الذي كان يعدهُ بمثابة أبيه في سورة مريم، قوله تعالى:{**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**}[مريم:41-50].

إنها آيات تضمنت واختزلت حياة إبراهيم (عليه السلام) تخشع أمامها قلوب العارفين، وتقشعر لسماعها جلود المخبتين، والآيات هذه تضم فنونًا من التربية المتنوعة، وأساليب للدعوة بطريقة مذهلة بأساليب بديعة باهرة، إنه الإعجاز التربوي للقرآن الكريم في صورة من صوره عبر أسلوب الحوار بين مربٍ وجهول، وعالم وعنيد، ونبي وكافر، إنه إعجاز يقوم على أسس الإقناع والتبصير في الحوار الهادف، ومحاولة تعديل السلوك الخاطئ إذ كان يستعين في سبيل ذلك بكل ما آتاه الله تعالى من حكمة وحسن تقدير، فتمثل أروع أساليب التربية الحديثة في الحوار والاستدلال في محاولة إقناع الآخر، وفيما يلي تحليل لبعض جوانب هذا الإعجاز التربوي الفذ في مجال من أهم المجالات في التربية وهو ذلك المجال المتصل بأدوار المعلم:

التعلم بطريقة الدافع:

يرى التربويون وطرائق التربية الحديثة أن المتعلم يجب أن يكون هنالك دافع يدفعه إلى التعلم، فالمعلم الناجح مهما يبلغ من النبوغ والبراعة، لا يمكنه دفع طلابه إلى التعلم إذا ما كانوا عنه معرضين، وفي علمه من الزاهدين، أما إذا توافر لديهم دافع داخلي يحفزهم فإنهم يقبلون على التعليم بعقول متفتحة، وقلوب واعية؛ لأنّ الدافعية تبعث في النفوس طاقة انفعالية وتتحول هذه الطاقة إلى نشاط محسوس ويرتهن نجاح المعلم في عمله بقدرته على استثمار دوافع تلاميذه من أجل تحريك نشاطهم وتعديل سلوكهم من أجل تحقيق أهداف يحددها لهم[25].

بدأ النبي إبراهيم (عليه السلام) في حواره مع عمه آزر بأن وضع له هدفًا يمس حياته مسًا مباشرًا، وهو النفع أو المصلحة المبتغاة من عبادة الآلهة، فإذا كان الإله الذي يعبده المرء لا يسمع ولا يبصر فكيف يمكنه أن يساعد من يعبدونه؟ أو يحقق لهم نفعا؟ أو يدفع عنهم ضررا؟ بدأ إبراهيم حواره بإثارة النشاط العقلي عند آزر لكي يحرك عنده طاقة انفعالية تجعله يفكر بالصورة الصحيحة في تلك الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، فقال:{**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**}.

ثانيًا: التعلم بأسلوب الحافز:

ينجح المعلم بقدر تمكنه من استعمال الحوافز مع طلابه، فإذا آنس فيهم شرودًا، أو عنادًا، أو خروجًا على المألوف، أو صدوفًا عن التعليم، احتال لذلك بما يتوفر لديهم ولديه من حوافز مادية أو معنوية كأن يعدهم بمكافأة أو نزهة أو حفل أو ما شابه ذلك مما تتوق إليه النفوس، وتنشط له الأبدان[26].

وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) بعد أن سعى إلى تنشيط عقل أبيه بالتفكير في جدوى عبادة الأصنام، أدرك أن هذا التفكير هو عملية عقلية معقدة بالنسبة لإنسان جامد الفكر، خامد الهمة، فأراد أن يقدم له حافزا يشجعه به على المضي في عملية التفكير، فأخبره بأن ما من الله به عليه من العلم سوف يجعله في خدمة أبيه، وأن أباه لو أطاعه، وأعمل عقله فيما يعبد، لوصل إلى الحقيقة التي يتهرب منها: وهي أن هذه الأصنام التي ورث عبادتها عن آبائه وجدوده لا تنفع ولا تضر، ولا بد أن لهذا الوجود خالقا يجل عن التجسيم، وهذا الخالق جل وعلا هو الذي رزق إبراهيم العلم، فإبراهيم في هذا النداء الثاني:{**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا**}، يحفز المخاطب على الدخول معه في دنيا الإيمان الصافي بالخالق القادر.

ثالثًا: إظهار الحقائق بطريقة مبسطة:

هناك مهمات ينبغي على المعلم أن يبسط فيها أمام طلابه، وهي تمثل حقائق الموقف التعليمي، فهو يبصرهم بما لتلك الحقائق من أبعاد مختلفة تتصل بهم من جهة التعلم، وبحياتهم عبر الخبرات المكتسبة، واهتماماتهم التي يحبونها، ومصالحهم التي يطمحون لها؛ حتى يحقق لهم بذلك البسط والتبصير في القانون الذي يسميه التربويون قانون التعرف، بمعنى أوضح أن المتعلم إذا كان يمتلك معرفة بعناصر الموقف المراد تعلمه؛ فإنَّ هذا يسهل عليه استيعاب هذا الموقف الجديد والتكيف معه[27].

هذا ما فعله النبي إبراهيم (عليه السلام) حينما ربط عند المتلقي بين عبادة الأصنام، وعبادة الشيطان، وهذا أمر قد يغيب عن ذهن ذلك الأب الذي أعماه التقليد عن إدراك حقائق الموقف الجامد الذي يقفه موقفًا ممانعًا من دعوة الابن الذي تربى في كنفه، فهو لا يدرك أن عبادته للأصنام ماهي إلا عبادة للشيطان في الحقيقة؛ لأنّ الأصنام حجارة لا قدرة لها على التأثير في نفسها ولا في غيرها، أما الشيطان فله سلطان على النفوس الضعيفة فهو الذي يسول لها، ويزين لها، ويوسوس لها، وقد عصى ربه سبحانه وتعالى، فمن أطاعه فقد أطاع عاصيا لله، فهو عاص بالتبعية، قال تعالى:{**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا**}.

رابعًا: التهديد بالعقاب:

من شأن المعلم إذا أخفق أسلوب التنشيط العقلي، واستعمال الحوافز، وبسط الحقائق، أن يلجا إلى ما ترتدع به النفوس الشاردة، وترعوي به القلوب الجاحدة، وهو أسلوب العقاب، أو التهديد باستعمال العقاب[28].

وهذا ما فعله إبراهيم (عليه السلام) في نهاية الحوار، حين لم يلمح في وجه أبيه اطمئنانا إلى حديثه، ولا ثقة بحججه، ولا رغبة في اتباعه، بادر بتخويفه من عذاب الله تعالى، ومن موالاة الشيطان الذي هو عدو لله وعدو للمؤمنين، قال تعالى:{**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**}.

وقد أوضحت الآيات الآتية من الحوار، ما جاء به رد الأب الجهول على الابن النبي العالم الصالح القانت الراغب في إنقاذ أبيه، من براثن الجهل، ووهاد الضلال، ودركات التبعية العمياء، فقال:{**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**}، وهكذا كانت عماية الجهل، وغواية الانقياد الأعمى للموروث الثقافي المتهافت، غشاوة على عقل الرجل، فلم يستجب لنداء الحق والإيمان، وختم الله على سمعه وبصره وبصيرته فلم يتبين أنوار الهداية التي تذرعت بكل أساليب الإقناع، بالدعوة إلى أعمال العقل، بكل أساليب الإقناع والدعوة إلى أعمال العقل، وبالتحفيز على اتباع العلم، وبشرح أسباب الغواية، وبالتخويف من العقاب.

وبالرغم من هذا الجفاء، وتلك الغلظة، لم يفقد إبراهيم (عليه السلام) حلمه، ولا أساء الأدب في حواره بل قال له في محاولة أخيرة لاستدرار عاطفته وإنذار عقله: {**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**}، أين هذا المستوى الرفيع من الخلق النبيل؟ إن أبا إبراهيم يهدده بالرجم والطرد من المنزل، والابن يرد في حلم العالم وعلم الحليم، من هنا تتكشف آليات عمل المعلم التربويّة كما ظهرت من الحوار الذي جرى مع إبراهيم (عليه السلام) وليس هذا فحسب وإنما جرى الحوار القرآني حتى في مسألة إحياء الموتى وكانت له دلالات كبيرة وكثيرة[29].

إن الآيات الخمس الأولى على وجازتها تتضمن معالم تربوية يحسن إظهارها في صورة نقاط تتعلق بمهام المعلم وأدواره وآليات عمله، كما تظهر في حوار النبي إبراهيم (عليه السلام) مع أبيه، ومنها:

1. أسلوب التكرار واستدرار العاطفة:

التكرر له خصوصية في التعبير القرآني وله ملاحظ دلالية، ويحمل التكرار ظواهر تعبيريَّة ذات دلالات وأبعاد تختلف من نص إلى نص آخر، إلَّا إنَّ السمة الغالبة في التكرار يراد منها دلالة التوكيد؛ لأنَّ التكرار أبلغ من التأكيد، والتقرير[30]، وإن تكرار أسلوب النداء في كلمة (يا أبت) أربع مرات في الآيات الأربع التي توجه فيها النبي إبراهيم (عليه السلام) بالخطاب إلى أبيه، والأصل(يا أبتي)، فحذف ياء الإضافة وبقيت كسرة التاء تدل عليها. وقيل: إن التاء دخلت للمبالغة في تحقيق الإضافة، كما دخلت في (علامة، ونسابة) للمبالغة في الصفة. ومثله: يا أمت. والوقف بالتاء لهذه العلة. وأجاز الزجاج الوقف بالهاء، وقيل إن التاء عوض من ياء الإضافة[31]، وهذا التكرار يدل على أهمية أن يكون تركيز المعلم في أسلوبه التربوي على ما يثير عواطف المتعلمين ويحرك مشاعرهم الانفعالية الإيجابية نحو الموقف التعليمي، فهو بهذا النداء المتكرر يستدر عاطفة الأبوة فيه، ويمد جسرًا من الثقة بينه – وهو النبي العالم- وبين أبيه الجاهل الكافر العنيد وكأن علاقة الأبوة والبنوة – في تقديره – ستسهم في تحريك مشاعر الرجل ومن ثم تحريك عقله[32].

2. أسلوب الاستفهام لإعمال الفكر:

نلحظ أسلوب الاستفهام في قوله:{**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**} لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر؟ هكذا بدأ إبراهيم (عليه السلام) الحوار مع أبيه، إدراكًا منه أن هذا ما يسميه التربويون بـ (الإثارة أو التمهيد للدرس) وهو عنصر جوهري من عناصر العملية التعليميّة، إنه بدأ الحوار الهادئ بسؤال لا هدوء فيه على الإطلاق سؤال يتصادم مع معتقدات موروثة تشبه بحيرة آسنة ساكنة، ران عليها السكون قرونًا وآمادًا طوالًا، فهو يلقي فيها بحجر من الحجم الثقيل ليحرك سكونها وهكذا.. من واجب المعلم أن يكون بدء تدريسه قويًا مثيرًا فعالًا: بأسئلة تهز الوجدان وتزلزل العقول وتدفع المتعلم دفعًا إلى التفكير المستقل الحر ربما يتداخل مع طريقة العصف الذهني التي تتم في عملية التعلم الفعال[33].

3. المعلم وثقته بنفسه:

إن قوة شخصية المعلم تقوم بالدرجة الأولى على مدى ثقته بنفسه، وبمادته العلمية، ورسالته الإنسانيّة، فإذا ما توفرت له ثقة بنفسه، وأحسن إعداد مادته العلمية، وآمن بنقل رسالته وصدقه مع نفسه في أدائها كان ذلك أدعى إلى تحقيق أهدافه التعليميّة، وإنجاح وظيفته التربوية[34]، ويمكن أن نلمس هذا الأسلوب والمنهج واضحًا في حواره (عليه السلام) مع أبيه عبر التصريح بأن ما عنده من العلم يفوق ما عند أبيه، واستعمال أسلوب التوكيد الذي يعكس ثقته بنفسه من جهة ويسعى إلى كسب ثقة الطرف الآخر بما يقوله من جهة أخرى في قوله: **{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا}**، وتنويع أساليب الخطاب من سؤال، إلى تحفيز، إلى تهديد بالعقاب.

4. الحلم وسعة الصدر:

بالحلم وسعة الصدر يمكن أن ينجح المربي ويتقن المعلم وظيفته فلا ينجح المعلم في أداء مهمته إذا كان عجولا، يؤوسًا، مقهورًا، وإنما ينجح بقدر ما يتحلى به من صبر ومصابرة، وقدرته على التحمل فإن المتعلمين قد يصدر منهم سوء أدب[35]، أو فظاظة في الحوار، أو غلظة في الرد، أو تعد على المعلم باليد أو اللسان، وعلى المعلم أن يكون قادرًا على امتصاص ذلك كله وإحسان التعامل معه[36]، وتدلنا الآيات على أن إبراهيم (عليه السلام) بعد أن استنفد كل وسائل الإقناع والتأثير، لم يجد من أبيه آذانًا صاغية ولا قلبًا مفتوحًا، بل وجد إصرارًا على الكفر، وسوء رد، وغلظة في الحديث، فهو يقول أربع مرات (يا أبت) وهو أسلوب نداء ترغيبي؛ لأنَّ ياء المتكلم في قوله: (يا أبي) أبدلت تاء، والمقام بينهما لا يحتاج إلى نداء؛ لأنَّ الحوار مباشر وهما متقابلان وجها لوجه لكن تكرار النداء بالأبوة فيه تحنن للقلب الجامد، ومحاولة متكررة لاستحضار ملكات السمع والذهن الشاردة، ومع ذلك فإن الأب الجهول يستكثر أن ينادي ابنه بقوله (يا بني) لساير خطابه ابنه بقوله (يا أبت)، بل يقول له: (يا إبراهيم)؛ تأكيدًا على إن بينهما أمدًا بعيدًا من الانفصال العقلي والوجداني، وهذا من بليغ التعبير القرآني في أساليبه التربويّة في التأثير والإقناع.

5. تنوع أساليب التعليم:

على المعلم المبدع في وظيفته أن ينجح في أداء العمل التربوي في التعليم، إذ لا بد من أن ينوع أساليبه التعليميّة حتى يصل إلى أهدافه التي يتوخاها، وإبراهيم (عليه السلام) في حواره هذا مثل قمة التأدب في الوصول إلى نتيجة تكمن في انقاذ الأب الجهول، فسعى إلى استمالته وكسب ثقته بأساليب متنوعه في مقام واحد عبر السؤال، والتحفيز، والبسط والشرح، والتهديد بالعقاب، ونستفيد من هذه الأساليب وتقديرها؛ أنها هي الأسلوب الأمثل لما يجب إن يكون عليه المعلم من سعة أفق وقدرته على استخلاص كل ما يمكن توظيفه في عملية التعلم، والتكيف الفعال في إدارة الحوار، ومرونة في الأداء في الخطاب والتعامل[37].

المبحث الرابع: الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) ومبادئ التربية القرآنية:

تزخر أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) بالعديد من الإرشادات والتوجيهات التربويّة التي تكمل وتحلل مفاهيم التربية القرآنية، إذ يقدّم أهل البيت أنموذجًا حيًا في التربية والتوجيه الإنساني مؤكدين على القيم الإسلاميّة والأخلاق الفاضلة، والتأكيد على الدور الكبير للأسرة والمجتمع في تنشئة الأفراد، وتتمثل التربية في القرآن الكريم وفي أحاديث أهل البيت بالمبادئ التربويّة والأخلاقية والروحية التي تهدف إلى بناء شخصية متوازنة وقادرة على مواجهة الحياة.

1. الإيمان بالله والتقوى به:

القرآن الكريم الباعث الأساس في سلوك أهل البيت (عليهم السلام) والمنهج الذي يقتفون أثره، ويُعد الإيمان بالله والتقوى أساسًا تربويًا مهمًا لبناء الشخصية، يقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}**[التوبة:119]، فالقرآن يشدد على تقوى الله والعمل الصالح كأساس لصلاح الفرد والمجتمع، وفي أحاديث أهل البيت يوصي الإمام علي (عليه السلام) بالتقوى في قوله: "أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم"[38]، فالتقوى بالنسبة لأهل البيت ليست مجرد ممارسة عبادية، بل هي أسلوب حياة يشمل كل سلوكيات الفرد، مما يجعل منها محورًا أساسيًا في التربية الأخلاقيّة.

2. التربية على الأخلاق الحميدة:

يدعو القرآن الكريم إلى التحلي بالأخلاق الحسنة، كالصدق والأمانة والإحسان، ففي قوله تعالى: **{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}**[البقرة:83]، وهذه الآية تؤكد على أهمية الأخلاق في التعامل مع الآخرين، ففي حديث ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[39]، وقوله: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ

الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا"، وهذا يدل على مكانة الأخلاق العالية في الدين الإسلامي وسيرة المعصومين "عليهم السلام"، إذ حث الإمام الصادق (عليه السلام) على الصدق قائلاً: "مَنْ صَدَقَ لِسَانُهُ زَكَى عَمَلُهُ، وَمَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ زِيدَ فِي رِزْقِهِ، وَمَنْ حَسُنَ بِرُّهُ بِأَهْلِ بَيْتِهِ مُدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ"[40]، مما يؤكد على أهمية الصدق والأمانة كأساس لتربية الفرد والمجتمع، *الصدق* هو أساس الثقة وأساس بناء الدين، فيميز أهل النفاق عن أهل الإيمان، ويعزز العلاقات الاجتماعيّة بالشفافية والحقيقة، حيث يؤدي لتحقيق الطمأنينة وبناء الجسور بين الناس في المحبة والرحمة والثقة بينهم.

3. التربية على احترام الوالدين والإحسان إليهم:

القرآن الكريم يوصي ببر الوالدين ويعتبره من أسمى القيم، كما في قوله تعالى:{**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**}[الإسراء:23]، ويشدد على أن البر جزء أساس من تربية الأفراد، ويحث أهل البيت "عليهم السلام" الناس على بر الوالدين كعنصر رئيس في التربية، إذ قال الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق: "فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدًا وأطعمك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدًا ، وأنها وقتك بسمعها وبصرها، ويدها ورجلها، وشعرها وبشرها، وجميع جوارحها، مستبشرة فرحة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى دفعتها عنك يد القدرة، وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمى وتظلك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها وكان بطنها لك وعاء وحجرها لك حواء وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلّا بعون الله وتوفيقه"[41]، بهذه العبارات الندية والصور الجميلة الموحية، استجاش الإمام وجدان الرحمة والبر في قلوب الأبناء.

4. التربية على طلب العلم والتعلم المستمر:

في القرآن الكريم: يحث القرآن على طلب العلم كأداة للتطور والرقي، حيث يقول الله تعالى:{**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**}[العلق:1]، وهذا التوجيه يشير إلى أهمية القراءة والتعلم كأساس لبناء المجتمع والفرد، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: "النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، والْمَالُ تَنْقُصُه النَّفَقَةُ والْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الإِنْفَاقِ، وصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِه، يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِه، بِه يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِه، وجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِه، والْعِلْمُ حَاكِمٌ والْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْه، يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أَحْيَاءٌ، والْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ، هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وأَشَارَ بِيَدِه إِلَى صَدْرِه لَوْ أَصَبْتُ لَه حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْه، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، ومُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّه عَلَى عِبَادِه وبِحُجَجِه عَلَى أَوْلِيَائِه، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَه فِي أَحْنَائِه، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِه لأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، أَلَا لَا ذَا ولَا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ والِادِّخَارِ"[42]، فالعلم هو أساس النجاح والقوة، ويركز أهل البيت على ضرورة العلم كجزء من التربية، مؤكدين على أن العلم يرفع مكانة الفرد في الدنيا والآخرة.

5. التربية على ضبط النفس والصبر:

دعا الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم إلى الصبر وضبط النفس فيما يواجه الإنسان من محن، كما في قوله تعالى:{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**}[آل عمران:200]، كما في حق يعقوب النبي (عليه السلام) فإنه فاز بمقصوده بصبره، يقول تعالى:{**قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**}[يوسف:90]، وكذلك في حق يوسف (عليه السلام)، وذلك يشير إلى أهمية الصبر كجزء من تربيّة النفس، كما في حكمةٍ منسوبة إلى الإمام علي (عليه السلام) فيه الصبر إذ يقول: "الصبر مفتاح الفرج"[43]، وقال (عليه السلام): "العفاف *زينة* الفقر، والشكر *زينة* الغنى، *والصبر زينة* البلاء، والتواضع *زينة* الحسب، والفصاحة *زينة* الكلام، والعدل *زينة* الايمان"[44]، وهذا يعني أن الصبر هو سلاح المؤمن في مواجهة التحديات، وهو جزء أساس في تربية النفس.

6. التربية الاجتماعيّة وحسن التعامل مع الناس:

القرآن الكريم يوجه الإنسان للتعامل الحسن مع الآخرين، فيقول الله تعالى:{**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**}[المائدة:2]، مما يؤكد أهمية التعاون والعمل الجماعي عبر بث روح الألفة بين الناس وإشاعة التقوى بينهم، فقد جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "المسلم من سلم الناس من يده ولسانه"[45]، فمن سلم المسلمون من يده ولسانه هذا له شأن عظيم، لا يظلم في نفسٍ، ولا في عرضٍ، ولا في مالٍ، المسلمون سالمون من لسانه ومن يده، فلا يغتب ولا يسب ولا ينم ولا يكذب إلى غير

ذلك، ولا يتعدى بيده بأي ظلم، ويشدد الإمام الصادق (عليه السلام) على أهمية العلاقات الحميدة مع المجتمع قائلاً: "خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم"، مما يعزز أهمية العلاقات الحميدة في التربية الاجتماعيّة.

الخاتمة

ترسم التربية في ضوء القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت "عليهم السلام" للإنسان خارطة شاملة لبناء شخصية متوازنة وروحية وأخلاقية، بحيث تكون قادرة على مواجهة تحديات الحياة بإيمان قوي وأخلاق حميدة، وتوفر تعاليم القرآن وأحاديث أهل البيت مزيجًا مثاليًا للتربية، يجمع بين الجانب الروحي والأخلاقي والاجتماعي، مما يضمن تكوين أفراد يتمتعون بالقيم الأصيلة والقدرة على التعايش بإيجابية مع الآخرين.

تمثل التربية أفضل أعمال الإنسان وأقرب القربات إلى الله، فتعد دعوةً، وتعليمًا، ونصحًا، وإرشادًا، وعملًا، وقدوةً، ونفعًا للفرد والمجتمع، وكيف لا تكون من أفضل الأعمال وأعظمها وهي مهمة الأنبياء والرسل (عليهم السلام).

تتنوع أساليب التربية في القرآن الكريم وطرقها فالأساليب التربويّة في القرآن الكريم كثيرة متعددة، فهي قد تأتي بأسلوب الحوار في الحث على التقوى والقصة والأمثال في سرد قصص الأنبياء والرسل والصالحين وأخذ العبرة منها في ضرب الأمثال والتربية بالتعزيز وفق مبدأ الثواب والعقاب، والتدرج في إقامة الحجة وبيان أحكام الشريعة وغيرها من الأساليب التي حفل بها القرآن الكريم، فهي أساليب تربويّة تفوق أحدث النظم التربويّة في العالم المعاصر.

وقد بيّنت النتائج أن القرآن الكريم صنف الدلالات التربوية إلى عدة محاور من بينها: بناء العقيدة، تهذيب النفس، غرس القيم الأخلاقية، وتنمية الوعي الاجتماعي، ليس فقط لأغراض جمالية، بل لتعزيز التأثير التربوي في نفس المتلقي.

خلص البحث إلى أن الأسلوب القرآني يُعدّ أداة فعالة في ترسيخ المبادئ التربوية، وإن فهم هذه الدلالات عن طريق منظور أسلوبي يُعمق من إدراك الرسالة القرآنية ويُسهم في تطوير الخطاب التربوي المعاصر.

. المراجع

---

[1](1) ينظر: تربية الشباب من الطفولة إلى المراهقة، عبد العظيم عبد الغني المظفر: 17.

(2) ينظر: السلوك العدواني في المدارس، ناصر ثامر لفتة: 43.

(3) ينظر: سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، د. أحمد زايد: 112.

(4) ينظر: التنمية المستدامة في القرآن الكريم، د. رحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية،ع: العدد 16 السنة العاشرة:17.

(5) ينظر: تربية الشباب من الطفولة إلى المراهقة: 58.

(6) ينظر: نفسه: 95.

(7) ينظر: تعديل وبناء سلوك الأطفال، د. بطرس حافظ بطرس: 79.

(8) ينظر: نفسه: 82.

(9) ينظر: نفسه: 96.

(10) ينظر: أساسيات التربية والتعليم عند أمير المؤمنين (ع): 43.

(11) ينظر: فن تربية الطفل، أحمد باقر القزويني: 153.

(12) ينظر: أساسيات التربية والتعليم عند أمير المؤمنين (ع)، جعفر الزنكي: 19.

(13) ينظر: نفسه: 29.

(14) ينظر: نفسه: 29.

(15) ينظر: المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ: 16.

(16) ينظر: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، كولتشيتسكايا: 14.

(17) الحقائق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني: 19/1.

(18) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 189/4.

(19) ينظر: نفسه: 189/4.

(20) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 280/8.

(21) ينظر: نفسه: 255/6.

(22) ينظر: تفسير الفخر الرازي: 189/4.

(23) ينظر: مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، د. زغلول راغب النجار: 101.

(24) ينظر: تأريخ الطبري: 164/1.

(25) ينظر: دافعية التعلم ودافعية الإنجاز مفهوم وأساسيات، د. عبدالباسط القني: 192.

(26) ينظر: نفسه: 193.

(27) ينظر: نفسه: 198.

(28) ينظر: دافعية التعلم ودافعية الإنجاز مفهوم وأساسيات: 199.

(29) ينظر: أفعال الحركة للطبيعة في التعبير القرآني: د. عبدالحي عبدالنبي العبادي:39.

(30) ينظر: اختيار الألفاظ في التعبير القرآني دراسة دلالية، د. عبدالحي عبدالنبي:280 .

(31) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: 128/7.

(32) ينظر: المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام،: 22.

(33) ينظر: سيكولوجية العلاقات بين الجماعات: 114.

(34) ينظر: تربية الشباب من الطفولة إلى المراهقة: 98.

(35) ينظر: السلوك العدواني في المدارس: 90.

(36) ينظر: تربية الشباب من الطفولة إلى المراهقة: 77.

(37) ينظر: السلوك العدواني في المدارس: 96.

(38) بحار الأنوار، المجلسي: 256/42، وموسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، الشيخ باقر القرشي: 253/1.

(39) كنز العمال، المتقي الهندي: 410/11.

(40) الكافي، الكليني: 104/2.

(41) شرح رسالة الحقوق، الإمام علي بن الحسين: 545.

(42) نهج البلاغة، الإمام علي: 496.

(43) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: 397/20.

(44) بحار الأنوار: 80/75.

(45) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: 1340/2.

<u>المصادر</u>:

- القرآن الكريم.

- الكتب:

1. اختيار الألفاظ في التعبير القرآني دراسة دلالية، د.عبدالحي عبدالنبي زيبك العبادي، دار الرافد، بغداد، ط: الأولى، 2022م.
2. أساسيات التربية والتعليم عند أمير المؤمنين عليه السلام، إعداد جعفر الزنكي، مركز التمهيد الثقافي، البصرة، ط: الأولى، 2015م.
3. أفعال الحركة للطبيعة في التعبير القرآني، د. عبدالحي عبدالنبي زيبك، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط: الأولى، 2018م.
4. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسيّ(1111هـ)، دار الوفاء، بيروت، 1403هـ–1983م.
5. تاريخ الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ, ضبط وتعليق: محمود شاكر, دار إحياء التراث العربيّ، بيروت, ط:الأُولى, 1421هـ – 2001م.
6. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ(ت460هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامليّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، قم المقدسة–إيران، (د.ط)، 1409هـ.
7. تربية الشباب من الطفولة إلى المراهقة، عبد العظيم عبد الغني المظفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط: الأولى، 1429هـ–2008م.
8. تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ي.أ. كولتشيتسكايا، ترجمة: د. عبدالمطلب أبو سيف، مراجعة: د. ماجد علاء الدين، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط: الأولى، 1997م.
9. تفسير الفخر الرازيّ المشتهر بالتفسير الكبير ومَفاتيح الغيب, محمّد الرازيّ فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ(ت604هـ), دار الفكر, بيروت، ط: الأُولى, 1401هـ–1981م.
10. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسير الطبريّ, للإمام أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ, ضبط وتعليق: محمود شاكر, دار إحياء التراث العربيّ، بيروت, ط:الأُولى, 1421هـ – 2001م.
11. الحقائق في محاسن الأخلاق، الفيض الكاشاني، تحقيق: محمّد حسين درايتيّ، ومحمّد رضا نعمتيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم المقدسة، ط:الأولى، 1418هـ.
12. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي(ت471–أو474هـ)، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الخامسة، 2004م.
13. السلوك العدواني في المدارس، د. محمود شاكر عبدالله وم.م. ناصر ثامر لفتة، مكتبة المعرفة، بغداد، 1437هـ_2016م.
14. سكولوجية العلاقات بين الجماعات، د. أحمد زايد، عالم المعرفة، سلسلة شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006م.
15. شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين(ع)(ت 94هـ)، شرح وتحقيق: حسن السيد علي القبنجي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط: الثانية، 1406هـ.

16. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي(ت 656هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم المقدسة، (د.ط)، (د.ت).
17. فن تربية الطفل، أحمد باقر القزويني، دار الكتاب العربي، بغداد، ط: الأولى، 1429هـ-2008م.
18. الكافي، الشيخ الكليني(329هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط: الرابعة، 1362هـ.
19. كنز العمال، المتقي الهندي(ت975هـ)، ضبط وتفسير، الشيخ بكري حياني، تصحيح: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
20.مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، د. زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: الثانية، 1433هـ_2012م.
21. المعالم الأساسية للمنهج التربوي في الإسلام، لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ، مطبعة صادق، ط: الثانية، 1428هـ - 2007م.
22.موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع، الشيخ باقر القرشي، مؤسسة الكوثر، قم المقدسة، ط: الأولى، 1433هـ.
23. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مدينة العلم، قم المقدسة، ط: الأولى، 1427هـ-2007م.
24. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب(ت40هـ)، تحقيق: د. صبحي الصالح، ط: الأولى، 1967م.

البحوث والدوريات:

1. التباين المكاني لمخرجات التعليم وعلاقاتها بالتنمية وسوق العمل في العمل، د. انتظار جاسم جبر، بحث منشور مجلة دراسات تربوية، تصدر عن مركز البحوث والدراسات التربوية في وزارة التربية، جمهورية العراق، المجلد:6، العدد: 22، نيسان 2013م جمادى الأول 1434هـ.
2. التنمية المستدامة في القرآن الكريم، د. رحاب مصطفى كامل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية،ع: العدد 16 السنة العاشرة:17.
3. دافعية التعلم ودافعية الإنجاز مفهوم وأساسيات، د. عبدالباسط القني، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد: 12، لعام 2020م.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract:
This research aims to uncover the educational implications embedded in the Holy Qur’an through a descriptive and analytical study of selected texts. These texts highlight the aesthetic nature of the Qur’anic style and the depth of its educational guidance. The study showcases the beauty of the Qur’an’s educational function within its discourse. It is based on the hypothesis that the Qur’anic style is not limited to rhetorical and linguistic miracles alone, but also conveys profound educational objectives reflected in word choice, sentence structure, the employment of deep

educational values, and dialogue that aims to shape human thought and refine behavior.
The study adopted a descriptive-analytical approach based on extrapolating verses with educational dimensions, combining linguistic analysis with pedagogical understanding. It draws on selected Qur’anic verses that address educational issues such as: creed (belief), ethics, self-purification, social relationships, exemplary role models, and behavioral guidance. The findings showed that the Qur’an classifies educational implications into several axes, including: building faith, refining the soul, instilling moral values, and fostering social awareness—not merely for aesthetic purposes, but to enhance the educational impact on the recipient.
The research concluded that the Qur’anic style is an effective tool for instilling educational principles, and that understanding these implications through a stylistic perspective deepens comprehension of the Qur’anic message and contributes to the development of contemporary educational discourse.
Keywords: Modern education, sustainable development, the Holy Quran, modern educational methods, principles of education.